منهجية التنظير المجذّر كمقاربة بحثية كيفية لدراسة الجريمة

أ. **شارف عماد***

ملخـص

يسعى هذا المقال الى تقديم أحد المقاربات المنهجية التي تطورت في الولايات المتحدة الامريكية في سنوات الستينات، والتي تعرف بمنهجية النظرية المجذرة أي المستخرجة من البيانات الميدانية، و تعتبر من المقاربات المنهجية الكيفية التي تتميز بموقف ابستيمولوجي يحدث القطيعة مع النزعة الكمية التي سيطرت على علم اجتماع بصفة عامة وعلم اجتماع الجريمة لعقود من الزمن خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، لقد كانت أهم أعمال النظرية التفاعلية الرمزية، والمنهجية الشعبية التي ترتبط بهذه المقاربة وبرادغم رد الفعل الإجتماعي ونظريات الوصم في علم إجتماع الجريمة كانت بنائية Contructiviste وهو النموذج الذي ميّز الجيل الثاني لهذه المنهجية خاصة في أعمال كاتي شرماز، وموقفها الابستيمولوجي الذي يرى أن الحقيقة الإجتماعية عبارة عن بناء ناتج عن تفسيرات الأفراد.

الكلمات المفتاحية: منهجية التنظير المجذّر، المقاربة الكيفية، الجريمة، برادغم رد الفعل الإجتماعي

Résumé

Cet article vise à présenter une approche méthodologique qui a évolué au cours des années soixante aux Etats-Unis et qui est connue en tant que méthodologie de la théorisation enracinée c'est à dire issue des données du terrain, de même qu'elle est considérée comme l'une des approches méthodologiques qualitatives qui se caractérise par une rupture épistémologique avec la tendance quantitative dominant la sociologie Et la sociologie du crime pendant des décennies, en particulier aux États-Unis d'Amérique, les travaux les plus important de l'interactionnisme symbolique, de l'ethnométhodologie associée à cette approche, ainsi que le paradigme de la réaction sociale et les théories de la stigmatisation en sociologie du crime ont été Contructiviste, ce modèle qui a distingué la deuxième génération de cette méthodologie et sa position épistémologique qui considère la réalité sociale comme construction issue d'interprétation des individus.

Mots clefs:Méthodologie de la théorisation enracinée, l'approche qualitative, le crime, paradigme de la réaction sociale.

*طالب دكتوراه جامعة باجي مختار –عنابة

مقدمة

تعتمد الدراسات في علم الاجتماع باعتباره علما مستقلا من حيث المنهج والموضوع على عدة مقاربات، ومناهج؛ بهدف تحقيق معرفة علمية موضوعية يمكن الاعتماد عليها في فهم المجتمع، والعالم المحيط بنا، ولكن من جهة أخرى تختلف أهداف هذه المعرفة بقدر اختلاف المقاربات، والمناهج المتبناة، فمن العلماء من يحصر سيرورة إنتاج المعرفة في نموذج العلوم الطبيعية بمحاولة إيجاد العلاقة السببية بين مجموعة من المتغيرات لظواهر معينة، ومن ثم تعميمها لتشمل مجالا أكبر من الظواهر؛ بقصد وضع قوانين ضابطة لها، ويعتمد هذا النموذج بالدرجة الأولى على النزعة الاختزالية والمناهج الكمية، وفي المقابل هناك من الباحثين من يسعى إلى فهم وتفسير الوقائع الاجتماعية باتخاذ طريق المقاربات التأويلية والتي تستند الى خبرات الأفراد وتفاعلهم فيما بينهم في وضعيات معينة، وغالبا ما تعتمد هذه النماذج على المناهج الكيفية.

لكن اليوم يسعى الكثير من علماء الاجتماع إلى الجمع بين المنهجيتين لإنتاج معرفة تتجاوز الثنائيات المطروحة جدلا في هذا العلم، ويكون هدفها–أي المعرفة– الوصول إلى حقائق صادقة عن الواقع الاجتماعي، وما المناهج الا وسيلة في ذلك وليس غاية في حد ذاتها، كما يزعم دعاة الدوغمائية المنهجية حين يعمدون الى تبرير، وإعادة إنتاج المقولات التقليدية التي سيطرت لعقود من الزمن على العلوم الاجتماعية.

إن أغلب النظريات في علم الاجتماع هي نظريات مبنية على مجموعة من المسلمات، والاستنباط المنطقي (Logico– déductive)، فكثير من الأبحاث في هذا العلم هي عبارة عن أبحاث فرضية استنباطية (Hypothétiquo–déductive) تعتمد على أطر نظرية مسبقة، ومقولات، وخطابات يتم اختبارها من أجل تفنيدها، حسب مبدأ **كارل بوبر**(Karl Pooper)، أو تأكيدها، أو تعديلها عن طريق مجموعة من الفرضيات غالبا ما يسعى الباحثون إلى تحقيقها لتوافق الأطر النظرية التي انطلقوا منها اولا، كما أن هؤلاء يحصرون نطاق مادتهم في الميادين التي يسهل فيها تطبيق الاختبار التجريبي على الفرضيات، وهذا الطريق غالبا ما يقود إلى إشكالية عقيمة يصبح فيها علم الاجتماع غير واقعي[1].

كما أن التعاريف، والاستعمالات المقدمة للمنهجية، والمنهج اليوم، وفي الكثير من الأبحاث يشوبها كثير من الغموض، وهو ما يقودها الى طريق مسدود، خاصة اذا تم فصلها عن سياقها النظري والابستيمولوجي الذي وردتْ فيه.

فإذا كانت المنهجية هي طريقةُ للتفكير حول دراسة الواقع الاجتماعي، فان المناهجَ هي المعبرةُ عن مجموع الاجراءات والتقنيات التي يتم من خلالها جمعُ البيانات، وتحليلها، اي و بعبارة أخرى تحيل المنهجية على القيمة الابستيمولوجية، و الموقف النظري للظاهرة قيد الدراسة، بينما تعكس المناهج

التقنيات العملية لإجراء الدراسة[2] ،كما ترتبط أيضا بمستويات التحليل في علم الاجتماع أي الماكرو، والميكرو، والبرادغمات التفسيرية.

إن إحدى الاشكالات المطروحة اليوم في دراسة الجريمة والانحراف، هي سيطرةُ علم الإجرام الوضعي والمناهج الكمية، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتميل إلى الهيمنة[3]، و تنتمي عادة الى برادغم الحقائق الاجتماعية ، الذي يتموقع في أعمال **اميل ديركايم** (Emile Durkheim)[4]، مع تغييب شبه كلي لعلم اجتماع الواقع الاجتماعي، أو علم اجتماع الفعل خاصة في الجامعات العربية والجزائرية، والذي يستقي مصادره من أعمال **ماكس فيبر** (Max weber)، كما أنه ينتمي للبرادغم التفسيري الثاني، والمقاربات الكيفية. لهذا السبب حاول الباحثُ من خلال هذا المقال ان يقدم للقارئ العربي أحد المقاربات المنهجية، لما لها من أهمية علمية وعملية، ،اذ أنها تحدث القطيعةَ مع المقاربات الوضعية؛ التي سيطرت على علم اجتماع الجريمة وركزت على الدراسات السببية للجريمة والضبط الإجتماعي. يطلق على هذه المنهجية بالنظرية المجذرة (Grounded theory) أو منهجية التنظير المجذّر، والتي تعتبر، في الوقت نفسه، مقاربةً منهجيةً بحثيةً كيفية و طريقة أو منهجاً خاصاً لجمع وتحليل البيانات، مع محاولة تبيان العلاقة التي تربطها ببرادغم رد الفعل الإجتماعي الذي يعتبر الجريمة عبارة عن بناء إجتماعي.

تحديدُ المصطلحات:

يعكس عنوانُ المقال ما يصطلح عليه في اللغة الفرنسية بـ: Méthodologie de la théorisation enracinée مع أنه لا يقابل في معناه العبارات المتداولة في اللغة الانجليزية Grounded theory، والتي وردت في عنوان الكتاب المؤسس للنظرية، وذلك لعدة أسباب من بينها رفض كلٌ من **ليكرهوف وجيومات** Luckerhoff,Guillemette[5] مصطلحَ Ancré الذي ورد في ترجمة الكتاب الى اللغة الفرنسية سنة 2010 تحت عنوان La découverte de la théorie ancrée اذ أن الدلالةَ السيمنطيقية لمصطلح **Grounded** لا تعكس حقيقةَ ما يشير اليه المصطلحُ الفرنسيُ **Ancré** من معاني التثبيث في المكان، و منع الشيء عن التحرك، فهو اذا مخالفٌ للعناصر الأساسية المشكلة لهذه المنهجية، أما المصطلح الثاني **Enraciné** فيحمل معاني التجذر، فهو لذلك أكثر دلالة و تعبيرا عن مبدأ المنهجية.

أمافي اللغة العربية، فنجد عدةَ ترجمات لهذا المصطلح المرتبط بالمنهجية طبعا، منها النظرية الموثقة[6]، وهي النظرية التي تكون مجذرة في العالم الامبريقي الحقيقي، و في ترجمته لكتاب أساسيات البحث الكيفي 1999 **لستروس وكوربين** (Strauss et Corbin) عبر **الخليفة عبد الله** عنها بالنظرية المجذّرة، وهو مصطلح آثرنا إعتماده في مقالنا لأنه الأكثر تعبيرا عن اجراءات المقاربة وأبعادها.

تعكس النظريةُ المجذرة، و منهجيةُ النظرية المجذرة على الترتيب، أبعادَ التأسيس الأول الذي يحيل على النظرية المستخرجة من البيانات، وفي نفس الوقت الاجراءات المنهجية الخاصة و المرتبطة بهذه العملية والموضحة في أعمال **ستروس** 1987 ثم **ستروس وكوربين** 1996 و1998، و الذي يجعل منها مقاربةً منهجيةً تختلفُ في مراحلها عن المقاربات المنهجية الكيفية الأخرى؛ بطرقها في استخراج البيانات، وتحليلها. كما تستخدم في الكثير من الكتب المنهجية باللغة الانجليزية على أنها مقاربة منهجية كيفية لتحليل البيانات[8].

النظرية المجذّرة: البدايات الأولى

ظهرت منهجيةُ النظرية المجذرة في الولايات المتحدة الأمريكية في سنوات الستينات من القرن الماضي، على يد كل من **جلاسر و ستروس** (Glaser,Strauss) في كتابهما الموسوم بـ (the discovery of Grounded theory –strategies of qualitative research 1967)، والتي نجدها في كتابات لاحقة مرادفا للتحليل المقارن المستمر (L'analyse comparative continue)، او ما يصطلح عليه **بالنظرية الجوهرية** (La théorie substantive) المستخرجة من المعطيات الميدانية عن طريق التحليل المقارن، والمستمر لمجموعة من الوحدات، وتختلف هذه المنهجية عما هو معمول به في أغلبية الدراسات؛ كونها تعتمد على مقاربة استقرائية في تحليل البيانات دون الرجوع إلى أطر نظرية مسبقة، ثم تطورت في ما بعد لتأخذ مواقف ابستيمولوجية مختلفة على يد كل من **ستروس وكوربين، ثم كاتي شارماز**.Kathy kharmaz

يصعب عادة تحديدُ الاتجاه النظري السوسيولوجي، الذي تنتمي إليه هذه المنهجية، ذلك أنها استخدمت من طرف الاتجاهات الوضعية، والتأويلية في الوقت نفسه ، الا أننا نجدها تتموقع في بداياتها الأولى في التيار البراغماتي عند **جامس وايت** ،كردة فعل على الفلسفة العقلانية، ثم في براغماتية **جون دوي** فيما بعد من الناحية الفلسفية، وكذا في التفاعلية الرمزية **(هربرت بلومر، روبار بارك، برجاس وشارل الوود)** من الناحية السوسيولوجية, والتي تعود بجذورها الى المونوغرافيا الضخمة الموسومة بـ: **(الفلاح البولندي في أوروبا و أمريكا1918–1920)** لكل من **توماس ويليام وفلوريان زنانييكي**، وهي من أهم الأعمال السوسيولوجية المؤسسة للمقاربة الكيفية. إلا أن تأثير الاتجاه التفاعلي الرمزي والدراسات الاثنوغرافية لمدرسة شيكاغو الامريكية يبدو واضحاً عليها.

الدراسة التأسيسية للمنهجية:

تعود المرجعيةُ التأسيسيةُ لهذه المقاربة المنهجية الى العمل المشترك **لجلاسر وستروس** في كتابهما **وعي الموت** Awareness of dying1965 الذي ينتمي الى الحقل المعرفي التخصصي لعلم اجتماع الطبي، والذي حاولا من خلاله فهمَ العمليات التي يتم من خلالها استبطانُ واقع الموت من طرف

المريض وعائلته، والنتائج المترتبة على ذلك، والظروف التي يتم من خلالها التعامل مع هذه الوضعية من طرف الطاقم الطبي والممرضين.

اعتمد الباحثان على تقنية الملاحظة المباشرة، والمقابلات الحقلية المكثفة مع الطاقم الطبي، وكذا المرضى، وأهاليهم في ست مستشفيات تابعة لمقاطعة **سان فرانسيسكو** لمدة ست سنوات. قاما بتحليل مسار الموت كطقس اجتماعي **Rituel social** للوجود الانساني يتم التعامل معه بطرق مختلفة حسب الوضعيات الاجتماعية والخبرة، وأسفرت الدراسة عن مجموعة نتائج مفادها ان اهتمام الطاقم الطبي بالجوانب التقنية أكبر من اهتمامهم بالجوانب السيكولوجية للمريض، بالإضافة الى التلاعب، أو محاولة اخفاء الحقيقة مما يفضي الى نوع من الشك في عين المريض، وما يترتب على ذلك من عمليات التفاوض لفهم مآل الوضعية[7].

المعاينة النظرية:

تختلف العينةُ في الدراسات الكيفية عن مثيلاتها في الدراسات الكمية، كما أن اجراءات المعاينة تختلف أيضا من مقاربة الى أخرى حسب موضوع، و أهداف الدراسة. وفي الكثير من الحالات تُستعمل العيناتُ الاحتمالية في الدراسات الكمية، والعيناتُ القصدية اللااحتمالية في الدراسات الكيفية، كما أن الأولى تركز على درجة ومدى صحة عملية التمثيل الاحصائي لمجتمع البحث، بغرض التعميم، أما الثانية فتركز بالدرجة الأولى على كمية وقيمة البيانات التي يتم جمعُها من المفردات أو العينة.

و وفقاً لمقتضيات البحث، قد تكون العينةُ، خاصة بالنسبة للحالات الأحادية في البحث الكيفي، و على مستوى الوحدات الصغرى للتحليل غير معهودة مثل عينة الفاعل، عينة الفضاء الجغرافي، أو المؤسساتي، عينة الحوادث التاريخية... [8]

إن ما يميز منهجية التنظير المجذر كمقاربة بحثية كيفية: **المعاينة النظرية** (L'Echantillonnage théorique) وهي بطبيعة الحال عكس المعاينة الإحصائية التي تعتمد بالدرجة الأولى على درجة تمثيل العينة لمجتمع البحث، والثبات الإحصائي وتستخرج قبل جمع البيانات، و تتميز المعاينةُ النظرية باعتمادها على اختيار الفئات، والميادين، والمواقف من خلال قدرتها على استظهار المفاهيم، وجمع بيانات **تنظيرية** (Théorisable)، فبالنسبة **لشارماز** تعني المعاينة النظرية : البحث وجمع البيانات المهمة لبناء وصقل الفئات لبناء النظرية، وذلك من خلال تطوير خصائص هذه الفئات الى غاية التشبع النظري بمعنى آخر الى غاية عدم ظهور فئات أخرى[9] . أما بالنسبة **لكوربان** تعني البحث في مؤشرات المفاهيم، وبالتالي فانه يتعين على الباحث فحصُ البيانات لاستظهار كيفية تغير المفاهيم تحت ظروف معينة، كما أنه لا يمكن فصل هذه العملية عن تحليل المعطيات[10]، أي أنه لا يمكن أن يُحددَ في بداية الدراسة بصفة نهائية ما يتم جمعُه، فعادة ينطلق الباحثُ من فئات عامة ذات علاقة بالظاهرة المدروسة، سواء مجموعة أفراد، مؤسسة، جمعية ...الى غاية درجة التشّبع النظري، أي

حتى يتوصل الباحث إلى نتيجة مفادها أنه لا جدوى من البحث عن فئات ومواقف جديدة بإمكانها أن تضيف مفاهيم جديدة لموضوع الدراسة.

وبما أن المجموعات لا يمكن اختيارها لمقارنة واحدة، فانه من غير الممكن تحديد ما يمكن مقارنته مسبقا بالنسبة لكل الفئات[11]ولهذا السبب تتزامن العينة النظرية مع جمع البيانات، عكس العينات الإحصائية، وتستمر أثناء مراحل التحليل.

منهجية التنظير المجذّر وعلم إجتماع الجريمة:

تسعى منهجية التنظير المجذّر إلى بناء نظريات تكون مجذّرة في المعطيات الميدانية، وتسمى بالنظرية الجوهرية، عن طريق العمل الميداني المكثف والتحليل المحوري، ذهابا وإيابا بين الميدان وبناء الموضوع الذي يبقى إلى مراحل متأخرة من البحث، كما أنها تحدث القطيعة مع النزعة الإختزالية التي تسعى الى إختبار النظريات في الميدان، ولعل أهم أعمال النظرية التفاعلية الرمزية، والمنهجية الشعبية التي ترتبط بهذه المقاربة وبرادغم رد الفعل الإجتماعي ونظريات الوصم في علم إجتماع الجريمة كانت بنائية Contructiviste وهو النموذج الذي ميّز الجيل الثاني لهذه المنهجية خاصة في أعمال كاتي شرماز، وموقفها الابستيمولوجي الذي يرى أن الحقيقة الإجتماعية عبارة عن بناء ناتج عن تفسيرات الأفراد.

ترتبط المقاربة المنهجية للنظرية المجذّرة بالدراسات الكيفية لعلم اجتماع الجريمة وبرادغم رد الفعل الإجتماعي من خلال مجموعة من النقاط يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولا:من الناحية المنهجية يمكن اعتبار كتاب **أرون سيكورال** (Cicourel)[12] Method and measurement in sociology 1964 أحد القواعد الأساسية للمقاربة الكيفية على العموم والنظرية المجذّرة على الخصوص، اذ أنه يسعى لتبيان العلاقة التفاعلية بين النظرية، المناهج والبيانات، فالقرارات المنهجية المتخذة في البحث السوسيولوجي تقابلها نظريات معينة، كما هو الحال بالنسبة لبناء موضوع الجريمة في علم الإجتماع، بالإضافة الى أن الافتراضات النظرية للمناهج والقياس في علم الاجتماع لا يمكن فصلهما عن الخطاب التنظيري للباحث[13]. فالجريمة في نفس السياق لا يمكن فصلها عن البناء الاجتماعي لها والذي يعود بدوره الى الافتراضات النظرية للمنهجية المجذّرة والمقاربات التأويلية في علم الاجتماع والتي ترى بأن الواقع الاجتماعي مبني من طرف الأفراد وعلى الباحث البحث في هذا الواقع كما هو مولّد عن طريق التفاعل، كما أنها تعبر في ذات الوقت على الجانب الذاتي لهذا الواقع، وتعبر كذلك بالنسبة للبحث عن الاطر الاجتماعية للمعرفة العلمية وكذا البناء الاجتماعي لها من طرف الذات العارفة.

ثانيا: بخصوص الحقل المعرفي لعلم اجتماع الجريمة، يمكن القول أن للتيار التفاعلي الرمزي الفضل في اعادة احياء الدراسات الكيفية وتطوير علم اجتماع الانحراف خاصة بعد ظهور ما يعرف بنظرية الوصم الاجتماعي(بيكر، ليمارت، تاننبوم، غوفمان، ماتزا،...) والتي تمثل النموذج التفسيري الثاني للجريمة

والمعروف بنموذج رد الفعل الاجتماعي، أحدث هذا النموذج القطيعة الابستيمولوجية مع علم الاجرام الاكلينيكي ونموذج الفعل والحركة الاجرامية وأعاد النظر في التفسيرات التقليدية لما هو جريمة[14].

كما أن نقطة الانطلاق بالنسبة اليه لم تكن سببية ولا تحليلية للعوامل المولدة للجريمة، وإنما اعادة النظر في نعت أو صفة المجرم (Le criminel) في حد ذاته كمستوى من مستويات القراءة، وبهذا المنطق نجد أنفسنا أمام ابستيمولوجيا تعيد النظر في النماذج السلوكية، الوضعية والثقافوية[15] وهي النماذج التي سيطرت لعقود من الزمن على علم الاجرام من خلال التركيز على الجريمة كسلوك فردي ومن ثم المجرم، ثم البحث في الاجراءات العلاجية فالوقائية ومحاولة تكوين مدونة معرفية عالمية جديدة، وتميزت ذات الفترة بالعديد من الدراسات التقييمية للبرامج العلاجية والتي أظهرت الكثير من القصور المنهجي سواء من حيث العينات المدروسة أو التقنيات المستعملة وخلصت الى نتيجة مفادها حسب العبارة المشهورة **لمارتنسون**(Martinson) أنه لا شيء يعمل (Nothing works).

ثالثا: تتعلق بإشكالية بناء الموضوع في علم اجتماع الجريمة من الناحية المنهجية، بحيث يتعين على الباحث الابتعاد عن استقبال المواضيع الجاهزة من الخارج وبكل سلبية، وإنما بناء الموضوع من وجهة نظر منهجية من خلال محاولة تجذيره في واقع الأفراد المنتجين له، و أنطلوجيا من خلال البحث في الوجود الفعلي لموضوعات علم الاجتماع على مستوى الواقع الذي يوجد فيه[16] حتى نتجاوز اشكالية تلقي المواضيع الجاهزة في هذا الحقل المعرفي والتي تحمل الكثير من الحيرة والأحكام المسبقة[17].

تعتبر قضية البناء القبلي للموضوع أو المواضيع الجاهزة من بين الاشكاليات الإبستيمولوجية في علم اجتماع الجريمة، اذ ومن خلال استقراء الواقع المؤسساتي نلاحظ الكثير من الغموض في قضية اختيار المواضيع التي تنتمي الى الحقل المعرفي التخصصي لعلم اجتماع الجريمة، اذا سلمنا بأن هذا التخصص له موضوعه الخاص وهو الجريمة، لكن نسبية الجريمة تجعل من البعض يبرر اللجوء الى كل المواضيع المعيقة للمسار الاجتماعي حسب **فينكنور**(Finknauer)، رغم أن هذا التوسع في المفهوم كموضوع للدراسة يراه الكثير من الباحثين على أنه ينحى الى تشتيت كل المساعي التفسيرية ويفتح باب التخمين[18].

كما تسعى منهجية النظرية المجذّرة الى بناء مواضيع متجذرة في البيانات الميدانية، إذ أن الحقائق متعددة حسب التفسيرات التي يعطيها الافراد لظاهرة معينة، والتي تختلف وتتطور حسب المكان والزمان من وجهة نظر الملاحظ لوضعيات معينة [19] ذلك ان مفهوم الجريمة يحمل جانب نسبيا غير قابل للاختزال وليس علميا، عقلانيا ولا امبريقيا، وبالتالي وحتى لا نقع في خطر الضن والتخمين يتعين على المفاهيم أن تكون مبنية من طرف الباحثين انطلاقا من الفاعلين للظاهرة محل الدراسة والذين يسعون لتفسيرها وشرحها، هذه البناءات تكون كنقطة انطلاق لبناء المعرفة من طرف المحللين [20].

رابعا: تعتبر منهجية التنظير المجذّر ذات ابستيمولوجية ميدانية تسعى إلى بناء مفاهيم من واقع الأفراد عن طريق عمليات المقارنة المستمرة لمجموعة من السياقات، ذلك أن المفاهيم لم تنتج عبثا وبطريقة

تلقائية وإنما هي محددة عن طريق أسلافها على حد تعبير **فلاك** (Fleck) وتعود الى الماضي البعيد[...] فالابستيمولوجيا من دون التقصي التاريخي والمقارن ما هي إلا لعب فارغ على الكلمات أو إبستيمولوجيا تخمينية[21] وفي مجال دراسة الجريمة أيضا، يجب أن يبدأ الباحث ببناء مفهمي قبل السلوك الملاحظ كونه حقيقة تاريخية فرضت نفسها على المجتمعات في سياقات معينة نتيجة اللاأمن والخوف الذي صادف الانسان في جميع مراحل حياته، وأن يدرس موضوعه كما يقدم نفسه تاريخيا للبشر الحقيقيين كما أن عدم رسم المسار التاريخي لتطور هذا المفهوم كمعطى ادراكي قبل كونه موضوعا للدراسة، يعد عبثا ابستيمولوجيا ومنهجيا،

خاتمة:

من الناحية الابستيمولوجية : جاءت هذه المنهجية كردة فعل اولا على ما يصطلح عليه **مك كراكن** Mc Cracken بشتاء الوضعية، والذي سيطر على العلوم الاجتماعية في سنوات الستينيات، و أصبح تحديا للوضع القائم في البحث الاجتماعي والذي كان يسعى الى اختبار الفرضيات على ضوء النظريات الكبرى، ثم ثانيا كردة فعل على الانتقادات الموجهة للمناهج المستعملة في الدراسات السوسيولوجية من طرف دعاة التكميم[22] ·رغم التكوين الذي تلقاه جلاسر في جامعة كولومبيا، والتي تتميز بالنزعة الكمية، إلا أن المقاربة تتميز بنزعتها الكيفية في تحليل البيانات، كما يدل عليه العنوان الفرعي للكتاب المؤسس.

رغم ارتباط هذه المقاربة بالعمل الميداني المكثف والذي يعتبر من مميزات البحث الحقلي الاثنوغرافي، والتقليد الانثروبولوجي، ورغم ما قدمته من اسهامات على المستوى المعرفي والمنهجي والذي يدمج العمل الميداني والنظري معا، الا أنها تواجه عدة صعوبات على مستوى الممارسة نذكرها في ثلاث نقاط رئيسية:

أولا: طورت منهجية التنظير المتجذر الكثير من المفاهيم الجديدة التي تختلف عن باقي المقاربات المنهجية، ومبادئ على درجة عالية من التجريد يصعب التحكم فيها خاصة بالنسبة للباحث المبتدأ ومنها عملية التجرد المؤقت من الأطر النظرية المسبقة (Faire tabula rasa) الذي ينادي به **جلاسر** أثناء الولوج الى الميدان وتحليل البيانات، لاكتساب الحساسية التنظيرية، اذ أنه ومن الصعب جدا التجرد من الأحكام المسبقة المرتبطة بالأطر النظرية للحقل المعرفي التخصصي الذي ينتمي اليه الباحث.

ثانيا: ان العمل الميداني المكثف والذي يفضي الى توليد كم هائل من البيانات يجعل من مهمة التحليل أكثر صعوبة، قد يفقد فيها الباحث في مرحلة من مراحل التحليل السيطرة على معطياته والتي تفضي به الى طريق مسدود أو تشويه لواقع الأفراد.

ثالثا: من المبادئ الأساسية للمنهج العلمي التعميم ثم التنبؤ وصياغة قوانين، رغم صعوبة تطبيقها في ميدان العلوم الاجتماعية والانسانية، الا أنه الطموح الذي راود علم الاجتماع لعقود من الزمن، أما بالنسبة لمنهجية التنظير المتجذر فانه يصعب تعميم نتائجها وذلك لارتباط الفئات بالسياق البحثي الذي

استخرجت منه، وبالتالي محدودية النتائج في خبرات الأفراد لذات السياق، وتبقى دائما محل اعادة تأويل وإعادة بناء وبالتالي مؤقتة[23] .

نجد اليوم منهجية التنظير المجذّر معتمدة في الكثير من الحقول المعرفية مثل علوم التسيير، وعلوم الاعلام والاتصال، و علوم التربية، و علم اجتماع الصحة والمرض .... كما نلاحظ أيضا من خلال الكثير من الأبحاث محاولة الحفاظ على التأسيس الأول لهذه المقاربة؛ أي الكلاسيكية رغم مرور ما يقرب من نصف قرن من الزمن على تأسيسها.

الهوامش والمراجع

1-Giddens Anthony(1971):**Capitalism and modern social theory**-*an analysis of writings of marx,weber and Durkheim*-Cambridge university press, London,X.

-Boeri Miriam and. Lamonica Aukje K(2015): **Sampling designs and issues in qualitative** 2 **criminology** in the routledge handbook of qualitative criminology,Copes and Miller (EDIT),Routledge,USA, p125.

3-Brent Jhon and kraska Peter(2015): **Criminology's theoretical incarceration**, in the routledge handbook of qualitative criminology,Copes and Miller (EDIT),Routledge,USA,p24.

4-Ritzer George (2011):**Sociological theory**, 8 Edition,MacGraw-hill,USA,A-10.

-Luckerhoff Jason et Guillemette François (2012):**Méthodologie de la théorisation enracinée**-5 *Fondements,procédures et usages*- presses de l'université du Québec, Canada,p07.

6- وردت هذه الترجمة في كتاب: لايدر ديرك (2000):**قضايا التنظير في البحث الاجتماعي**، ترجمة: عدلي السمري، الشركة الاعلامية للطباعة والنشر ستامبا، مصر.ص10.

– أنظر على سبيل المثال

-Gray.e David(2004) :Doing research in the real world, sage publications,London.,p329

-Marvasti Amir(2004):Qualitative research in sociology, sage publication,London,p84

-Robert Yin(2011): Qualitative research from start to finish, the Guilford press,USA,pp16-17

7-Andrews Tom(2015): Awareness of Dying Remains Relevant after Fifty Years**,** The Grounded Theory Review, Volume 14, Issue 2, disponible sur http:// www.groundedtheoryreview.com/

08- Pires Alvaro(1997**): Échantillonnage et recherche qualitative** in *La recherche qualitative. Enjeux épistémologiques et méthodologiques* (dir) Poupart, Deslauriers, Groulx, Laperrière, Mayer, Pires, Gaëtan Morin, Éditeur, CANADA,pp113-169

09-Charmaz kathy(2006):**Constructing grounded theory**-A practical guide through qualitative research,Sage pulication,USA,p98.

10-Corbin,Juliet et Strauss Anselm (2008):**Basic of qualitative research**, 3e éd,thousand oaks,sage publication.USA,p82.

11-Glasser Barney,Strauss Aanselm(2010):**La découverte de la théorie ancrée** –strategies pour la recherche qualitative-traduit par Marc-henry Soulet et Kerralie oeuvray, édition Armand colin, France,p143.

12–الباحثون الذين يستعملون منهجية النظرية المجذّرة نجدهم ومن دون شك قد تأثروا بالتيارات الفكرية الحديثة مثل الاثنوميثودولوجيا، التيار النسوي وبعض التيارات مابعد الحداثية.

-Coulon Alain(2002):**l'ethnomethodologie**, collection Que sais-je, PUF,France,p68.13

14-Poupart, Prudence et Pires (1983): **Les méthodes qualitatives et la sociologie américaine**, In: Déviance et société. - Vol. 7 - N°1, p73 texte disponible sur http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/ds_0378-7931_1983_num_7_1_1777

15-Szabo Denis(1978):**Criminologie et politique criminelle**,p76 [texte disponible dans http://classiques.uqac.ca/]

16-هارمان جاك(2010):**خطابات علم الاجتماع في النظرية الاجتماعية**، تعريب: العياشي عنصر، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ص17.

17-Gassin Raymond(2007):**Criminologie**,6 édition, éditions dalloz, paris,p104.

18-Langlois stéphane leman(2007) :**La sociocriminologie**, les presse de l'université de montreal, Canada,p28.

19- Luckerhoff Jason et Guillemette François,OP-cit,vii.

20- Corbin,Juliet et Strauss Anselm,OP-cit,p10.

21-Fleck Ludwik (1979):**Genesis and development of scientific fact**, The university of Chicago press, USA,p21.

22-Dunne Ciaràn(2011):**The place of literature review in grounded theory research**, international journal of social research methodology,vol.14 N.02 march, taylor& francis,p112.

23- Demaziere Didier , Dubar Claude (1997): E. c Hughes initiateur précurseur critique de la Grounded theory, Sociétés Contemporaines n° 27,p54. disponible sur http://www.persee.fr/doc/socco_1150-1944_1997_num_27_1_1457